منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

www.almadasupplements.com

العدد (6086) السنة الثالثة والعشرون - الأربعاء (11) شباط 2026

الممثلة والمخرجة

ليف أولمان

ليف أولمان سيرة مشرقة لممثلة ومخرجة

ترجمة وتقديم: علي كامل

> في مذكراتها التي صدرت عام ١٩٧٧ بعنوان اتغيّر) كتبت ليف أولمان تقول:إنني أكتب عن شخص أعرفه جيداً، شخص أعرفه حق المعرفة، عن إمرأة نشأت وترعرت في النروج وما طرأ عليها من تغيير. إمرأة تمتهن عملاً جربته وخبرته كحق خاص (....) أريد أن أُظهر هذا الشخص من دون قناع وأقولهلو، إنه أنا

على الرغم من أن ليف أولمان هي مواطنة نروجية إلا أن قدمها لم تطأ أرض النروج لحين أصبح عمرها سبعة أعوام، فقد ولدت في اليابان عام ١٩٣٨ من أبوين نروجيين حيث كان والدها جوني أولمان مهندساً يعمل ويقيم هناك آنذاك. كتبت أولمان تقول:

ولدتُ في مستشفى صغير في طوكيو. أخبرتني أمي أنها تتذكر شيئين لحظة ولادتي:الأول، أنها رأت فأراً يمر من أمامها وإعتبرت ذلك بمثابة فأل حسن، والثاني، أن إحدى الممرضات قدمت نحوها وهمست في أذنها بإعتذار قائلة:;إنها فتاة. هل تفضلين إخبار زوجك بنفسك؟

بيرغمان المعّلم والعاشق

لايمكن الحديث بالطبع عن ليف أولمان الإنسانة والفنانة دون التطرق إلى علاقتها العاطفية والإبداعية ببيرغمان. فإذا كان بيرغمان هو الفنان الخبير في رسم شقاء الإنسان، فأولمان هي القماشة التي كان يرسم عليها ذلك الشقاء. فقد إرتبط إسمها به وكاد ظله الوارف أن يظللها لفترة طويلة وهذا ما كان يثير فيها القلق حقاً. تقول;كنت أحس أنني لاشيء من دونه وعن أول لقاء به تقول:

كان ذلك عام ١٩٦٦. لقد كان إنغمار قد شاهد بعضاً من أفلامي قبل أن ألتقيه وحين إلتقيت به أحسست كما لو أنه شيء إنبثق من صفحات مجلات هوليوود السينمائية. كنا نسير في الشارع أنا وهو وبيبي أندرسون، وفجأة أوقفني وقال: أريدك أن تكوني في فيلمي القادم(تضحك).. حينها فكرّت: أوه ياإلهي، إن هذا يحدث تماما كما في مجلات الأفلام.. (تضحك).. لقد كان يتهيأ حينها لإخراج فيلم كنت سألعب فيه دوراً صغيرا لكنه مرض فجأة وألغى الفيلم. عندئذ ولأجل أن نغيّر مزاجنا ونبتهج قليلاً سافرنا أنا وبيبي وأزواجنا إلى بولندا وتشيكوسلوفاكيا. وهناك في تشيكوسلوفاكيا أخبرتنا السفارة النروجية أن رسالة وصلت من إنغمار. يبدو أنه أراد منا العودة على الفور. كان لا يزال في المستشفى وكان يتطلع في صورة بيبي وصورتي كما عرفت فيما بعد، وخطرت له فكرة فيلم بيرسونا وكتب له السيناريو.

عدنا إلى النروج وبدأ تصوير الفيلم بعد حوالى أسبوعين. لذا لم يكن ثمة إختبار لنا. لاشيء. فقد كان قد إستوحى كل شيء من صورنا فقط.. (تضحك).. حينها فكرنا أنا وبيبي أن هذا الفيلم سوف لن يراه أحد لأنه كان غريباً جداً.. (تضحك).. لقد كانت تجربة رائعة أن نفعل ذلك. بيبي كانت يومها واحدة من أفضل صديقاتي، أما أنا فقد وقعت في غرام أنغمار...(تضحك)

كثيراً ما كان بيرغمان يرّدد جملته الشهيرة بأنه يوظف ليف في أفلام;لأنها بمثابة روحه الثانية. أما هي فتقول: في معظم العلاقات لايمكنك مطلقاً أن تحصل على فهم كامل للشخص الآخر وتستخدمه إبداعياً، إلا أن بيرغمان فعل ذلك معي، على الرغم من أنه سرق بعض الأشياء من حياتي لاسيما في فيلمه (مشاهد من الحياة الزوجية).

وهكذا ومنذ ذلك الحين أصبح بيرغمان معلمها الأول وعشيقها وتواصلت علاقتهما الإبداعية والعاطفية وأثمرت فيما بعد إبنتهما لين أولمان التي ستظهر لاحقاً في واحد من أفلام والدتها، وكذلك تسعة أيقونات رائعة أخرى هي:

- .العار (١٩٦٨) بدور إيفا روزنبرغ
- .ساعة الذئب (١٩٦٨) بدور ألما بورغ
- .آلام آنا (١٩٦٩) بدور آنا فروم
- .صرخات وهمسات (١٩٧٢) بدور ماريا
- .مشاهد من الحياة الزوجية (١٩٧٣) بدور ماريانا
- .وجها لوجه (١٩٧٦) بدور د. جيني إسحاقسن
- .بيضة الأفعى (١٩٧٧) بدور مانويلا روزنبرغ
- .سوناتة الخريف (١٩٧٨) بدور إيفا
- .سرباندا (٢٠٠٣) فيلم تلفزيوني. بدور ماريانا

في الفيلم التلفزيوني الأخير لإنغمار بيرغمان سارابانـد; الذي أخرجه عام ٢٠٠٣ تقرر مارينا (التي لعبت دورها ليف أولمان) زيارة زوجها السابق في بيته الصيفي في يوم خريفي جميل بعد ثلاثين عاماً من الإنفصال. وحين يسألها عن سبب قدومها، تجيب: لأنك أنت من طلب مني الحضور.

وحين كان بيرغمان يحتضر في جزيرة فارو في نهاية شهر يوليو عام ٢٠٠٧ غادرت ليف بيتها الصيفي في النروج وسافرت لرؤيته ووداعه، إلا أنه لفظ أنفاسه الأخيرة حال وصولها، ومع ذلك فقد حرصت على أن تقول له: إنك أنت من طلب مني الحضور.

تقول أولمان;لقد جئت لأقول له وداعاً. أنا لا أدري إن كان قد عرف أنني هناك، لأن هذا شيء مهم جداً بالنسبة لي.

تحولت أولمان فيما بعد إلى الإخراج المسرحي والسينمائي، وهي تعترف أنها استخلصت الكثير من دروس بيرغمان بهذا الشأن وخصوصا جملته التي كان يردّدها على مسامعها دائماً كما تقول: كان يقول لي دائماً أن الشيء الجوهري الذي ينبغي عليك عمله وأنت تلعبين أدوارك هو أن توظفي لها كل أوهامك وخيالاتك وأي شيء آخر كنت قد فعلته في طفولتك

كمخرجة سينمائية أنجزت أولمان أربعة أفلام مميزة لعل أبرزهما إعترافات خاصة ١٩٩٦ وفيلم الخائن ٢٠٠٠، اللذان إعتمدا على مخطوطتين لسيناريوهين كتبهما بيرغمان على أمل أن يخرجهما يوماً ما وكلاهما مستمد من حياته الخاصة. الأول يتناول الحياة التعيسة لوالدي بيرغمان والثاني يُظهر الدمار الذي تحدثه إمرأة حين تقيم علاقة حب مع أفضل أصدقاء زوجها.

وهكذا جاء الوقت الذي تخرج فيه أولمان من ذلك الظل الوارف لتقف على قدميها لوحدها، فقد أنشأت إبنتهما لين اولمان التي هي الآن روائية وواحدة من أبرز الصحافيين في النروج، من ثم تألقها ليس في ميدان السينما كممثلة ومخرجة إنما أيضاً كممثلة ومخرجة في أشهر مسارح العالم فضلاً عن عملها مع منظمة يونيسيف كسفيرة للنوايا الحسنة وتأسيسها لمنظمة تعنى باللاجئين من النساء والأطفال.

الآن وهي في سن الثانية والسبعين تقول إنها تتحرق شوقاً في العودة إلى جذورها الأولى، إلى خشبات المسرح النروجي بعد أربعين عاماً من الغياب، بل إنها ترغب في القيام بجولة طويلة في شمال بلادها وهي تستقل واحدة من حافلات الإنتاج السينمائي، كما تقول، وهو شيء لم تفعله منذ أن كانت ممثلة ناشئة. بغبطة طفل تقول: سيكون ذلك ممتعاً حقاً إنه نوع من العودة والوداع في الوقت نفسه. إنها دورة كاملة من البدء إلى البدء.

ليف أولمان الممثلة

(ليس بوسع شيء موازاة اللحظة التي أكون فيها أمام الكاميرا)

أعتقد أن الممثل هو كائن مُنح نعمة إسمها الموهبة فهو إذاً مبارك. إنه المسافر دوماً إلى كل مكان وهو من ستتاح له الفرص في مقابلة أناس رائعين في هذا الكون، وهو من سيكون جزءاً من بيئة لم تكن يوماً بيئته لو لم يمتهن هذه المهنة العذبة.

لقد كنت ممثلة في المسرح والسينما لمدة نصف قرن تقريباً. إنه عمر.. حياة نوعية. هذه المهنة منحتني إمكانية إعادة إكتشاف وتأمل وفهم وإستلهام واقع غالباً ما كان نائياً عن نوعية الحياة التي حييتها وعن طبيعة ما ترعرعت وتثقفت على قبوله وفهمه.

لقد عثرت على الكثير من معرفتي وكذا تعاطفي مع الآخرين عبر مشاهدتي الأفلام في قاعة العرض المظلمة أشارك وأتبادل الخبرات مع أناس آخرين لاأعرفهم.

إن الوجوه والحركات والأصوات القادمة من هناك من الأعلى من شاشة الفيلم أصبح بالنسبة لي، كفتاة شابة آنذاك، شيئاً ما، أكثر حقيقة من الواقع.أما فيلمي المفضّل أبداً فهو أمبيرتو دي لفيتوريو دي سيكا، الفيلم الذي ظهر ربما بسنوات عديدة قبل ولادة الكثير من قراء هذه المادة.

أمبيرتو دي، آه، ما أحلى سن الثالثة عشرة تلك التي كنتها. لقد كنت أحس بما كان يحس به ذلك العجوز المشرد أمبيرتو، وقد كان ألمه بمثابة ألمي، ووحدته كادت تخترق سائر جسدي. حبه لكلبه وحزنه بفقدان أحدهما الآخر، أشياء ما زال بوسعها حتى هذه اللحظة إستدرار الدموع من عيوني. الشارع الذي كان يعيش فيه العجوز أمبرتو دي كنت أحسه وأعرفه كما لو أنه شارعي أنا. على الرغم من كوني آنذاك فتاة صغيرة أقيم بعيداً عن الشمال فضلاً عن أنني كنت محمية ومحبوبة، لكن أمبرتو دي وأنا كنا شخصا واحدا. وحتى الآن، حين أفكر به، أحس به وأتماهى مع حكايته كما لو أنها حكايتي. إن المادة التي أشتغل عليها في مهنتي كممثلة هي الحياة التي أحياها، والحياة التي أرقبها وأراها، والحياة التي أقرأ عنها، وتلك التي أصغي إليها.

ثمة لحظة مدهشة حين تقفز راقصة باليه وتبقى محلقة في الهواء لبعض الوقت مدة أطول من الممكن. تلك اللحظة هي ما أتوق إليها كممثلة. وهذا ما أرقب حدوثه في عملي مع الممثلين الآخرين حين أمارس الإخراج، وهو أن ترى شيئاً ما ربما يكون ممكناً حدوثه. لدي رغبة حقاً في محاولة القفز مرة أخرى وأخرى وأريد التسليم بذلك حتى لو كانت المحاولة فاشلة. أحب أن أعبّر عن شيء ما، إنساني، في عملي كممثلة أو كمخرجة أو كاتبة سيناريو. شيء ما يمكن أن يكون مدهشاً حين يتم تحديده ويمكن تحقيقه. أحب أن أبلغ رسالة أنه لاينبغي للإنسان مطلقاً أن يشعر بالوحدة. وهذا حق إنساني لسائر البشر في حرية الإنتماء إلى هذه الإنسانية بما أنهم أعضاء في هذا المجتمع الإنساني.

لذا يمكن للبعض منا ممن كان يفكر أننا كنا نحّلق خارج السرب أن يحس أننا نخوض تجربة مشتركة واحدة في جلوسنا معاً في القاعة المظلمة للعرض، وتلك هي فرصة رائعة لتبادل المشاعر والرؤى وللإحساس بأنفسنا والتعرف إليها عن قرب.

لقد أمضيتُ معظم حياتي كممثلة في المسرح والسينما. حين كنت أمثل وأنا طفلة، كانت هناك حقيقة واحدة موجودة في ذهني هي متعة الوجود في عالم يخلق لديك إيمانا ما، عالم مبني على الثقة والصدق.

كنت أرسم الصور في صغري وهذا مجرد حدث عابر بالطبع. لم يخطر ببالي حينها مطلقاً أنه يمكن رسم الناس والأشجار والبيوت بأية طريقة معينة إذا كان الآخرون قد ميزوها وأحبوها مثلما هي في الطبيعة. لذا فقد كانت أشجاري بنفسجية اللون وسمائية خضراء. ماهذا؟ كان يسألني الكبار. إلا أنني لم أعر لذلك أي إهتمام لأن جدتي كانت تقول لي دائماً آه ياليف.. ماهذه الأحلام الجميلة التي تصنعينها! حقيقة الأمر هو أن تلك الرسومات كانت تمثلني أنا. ومن بعد، أصبحت الأدوار التي ألعبها هي الأخرى تمثلني أنا. ولذا سيّسلم ويعترف البعض بها مثلما فعلت جدتي يوما.

أما ما هو أكثر الأشياء الذي أتوق إليه كممثلة، فعلى الأرجح إن الدور الذي أقوم بأدائه، ولنقل شخصية نورا في بيت الدمية لإبسن مثلاً. ماهو محتمل جداً هو أن نورا تلك ينبغي هي أن تلعب ليف وليس العكس. وهذا ما كان يحدث لي في أكثر الأوقات إن لم يكن في أفضل اللحظات.

إن قيد الممثل هو أن يكون أداة أو وسيلة للتعبير. ذلك بالنسبة لي شيء مستحيل، بل دون فائدة أو أهمية، أن يقوم الممثل بتغيير كامل شخصيته من دور إلى آخر.

ما أقرّ وأسّلم به هو أن ثمة أسرارا مجهولة، أسرارا في أعماق نفسي، لم أكن على علم وإدراك ومعرفة بها حتى الآن. أسرار كهذه تتقدم نحوي محدثة شرراً بواعز من تشكيل الدور و بدافع من تجربة حياتي، أسرار تتفجر أحياناً بدافع من المخرج نفسه.

التمثيل بالنسبة لي هو بمثابة مديات رحبة للفرح لاسيما حين تحس أن كل شيء حقيقي. بل أكثر من ذلك، اليوم وأنا أمارس عملية الإخراج أستطيع رؤية أرواح الممثلين وحيواتهم وتأملاتهم ومراقبتهم للبشرية والإنسان وقد أصبحت جميعاً الشيء الذي يقدمونه إلى المتفرج. إنها حقيقة المخيلة، الحقيقة التي تتكشف في هذه اللحظة الذهبية ولأول مرة أمام ذلك المتفرج.

ولأن الممثل قد أحس بتلك الحقيقة فإن المتفرج سيحسها بالضرورة. العرض هو من يجعلنا ندرك الحقيقة، في الأقل، تلك الحقيقة المعطاة لنا لكي نستوعبها.

أنا لا أعرف تماماً لمن سأعطي الأولوية إذا ماخيرّت مابين الإخراج المسرحي أو السينمائي، رغم أنني أعرف جيداً أن الأفلام تتميز بشيء واحد لايمتلكه المسرح، ألا وهو اللقطة الكبيرة كلوز آب.

كلما إقتربتْ الكاميرا أكثر كلما إزددتُ توقاً ورغبة أكثر لإظهار الوجه وهو عار تماماً. الكشف عما هو مختبئ خلف البشرة، وراء العينين. الكشف عمّا هو داخل الرأس، عن الأفكار وهي تتشكل.

إن الهدف من ممارستي العمل كممثلة في الفيلم هو قبل كل شيء مواصلة رحلة الكشف عن دواخلي الخاصة، نزع القناع وإظهار ما يختبئ خلفه.

مايثير الدهشة في إقتراب الكاميرا نحوك أكثر فأكثر هو إلتقاط ما لا تستطيع العين إلتقاطه. إن إظهار وجه الإنسان على الشاشة وهو يقترب من المتفرج هو الوسيط الحقيقي الوحيد الذي لا تنافسه واسطة أخرى.

المتفرج وهو في لحظة التماهي تلك ينبغي عليه مواجهة شخص حقيقي وليس الممثل. حين يريد مواجهة نفسه سيواجهه عندئذ وجه الممثل. إنها الروح وهي تتماثل وتتماهى مع الوجه. نعم هذا ما أعرفه عن الإنسان، هذا هو ما أملكه من خبرة وتجربة، وهذا ما أراه وما أحب أن أشارك الآخرين فيه.

ليس ثمة مجال للحديث هنا عن الماكياج والشَعر أو الجمال. إنه الكشف الذي ينأى بعيداً عن الكاميرا لكي يُظهر ليس الوجه فحسب، إنما أيضاً أي نوع من الحياة قد شهدها هذا الوجه. إن الأفكار التي خلف الجبين هي أشياء لايعرفها الوجه ذاته عن نفسه، لكن المتفرج هو من سيراها ويحسها.

بشكل خاص، نحن نتوق بالضبط لهكذا نوع من الإحساس، حيث بوسع الآخرين إدراك ما نخبئه نحن في أعماقنا حقاً. نعم، هذا هو ما أحبه كممثلة ومخرجة.

إن خطب معظم الزعماء ورؤساء الوزارات والجنرالات ستنسى حتماً. لكنني أعرف تماماً أن وجه أمبرتو دي الحزين وهو ينشد الرأفة بوسعه أن يغيّر في الأقل أولئك الذين عانوا ذلك الحزن ليكون جزءاً منهم إلى الأبد. بوسعه أن يوقظ وعيهم الإجتماعي. لقد حدث ذلك لي حين كنت في سن الثالثة عشرة.

نحن نعلم حتى هذه اللحظة أن صور السينما ورؤاها التي أبدعتها عقول المبدعين الموهوبين ستبقى تُطعم الناس ببعض الأمل، الأمل حيث ثمة بهاء وإجلال للحياة، الرجاء في أننا يزال ثمة الكثير من الفرص والإمكانات.

إن المأساة التي يواجهها المخرجون السينمائيون الأوروبيون وجميع العاملين في حقل الإبداع سببها جلّ التغيرات السلبية في السياسات الأوروبية وهي في الحقيقة مأساة للجميع، بمن فيهم الجمهور نفسه.

نحن اليوم في عالم تحكمه الغباوة للأسف الشديد. ومع ذلك، ما زال بوسعنا نحن العاملين في ميدان الثقافة مواجهة اللحظة الأخيرة حيث بالإمكان عمل شيء من التغيير والإختلاف. بوسعنا البقاء كعامل ضغط من أجل تحقيق القضايا الكبرى، وبإمكاننا إيصال أصواتنا لمن لايسمع.

إن القضايا التي تتعامل مع عقل الإنسان وروحه وحنوه وأحلامه، لايمكن للحروب والخطابات التلفزيونية حلها مطلقاً. إن الحل الحقيقي يكمن في إقرارنا بقيمة الإنسان وتفرده.

نحن نقاتل من أجل هويتنا. وبغض النظر عن كيفية الإنتماء لهذا الطريق أو ذاك في عالم السينما، إلا أن لدينا مسؤولية كاملة ومشتركة لأننا شهود عن أزمنتنا.

عن موقع ايلاف نشر عام ٢٠١٠

ليف أولمان برغمان لم يمنحني كلّ الأجوبة!

تسعة أفلام في إدارة إنغمار برغمان. وجه طبع تاريخ السينما وتصدّر أسمى لحظاتها، من "برسونا" إلى "صراخ وهمسات". روح معذّبة منذ الطفولة حافظت على صفاء لا مثيل له. هذا بعضٌ ممّا في سجلّ ليف أولمان، الممثّلة النروجية الواقفة اليوم على عتبة الثمانين. انها سيدات في سيدة واحدة. اسطورة سينمائية تربكك بانفتاحها وسخائها، وكأن كلّ مجدها ليس سوى عدم بعدم. ولكن، قبل ان تكون هذا كله، هي ملهمة المعلّم الأسوجي. هي الوجه والصوت اللذان نسج منهما حكاياته، والعينان اللتان تشعّ منهما عظمة الوجود. خلال مرورها في ليون ومكوثها فيها طوال أسبوع، أتيحت لـ"النهار" مجالسة أولمان ومحاورتها في شؤون السينما والحياة على ضوءٍ مستقبل لا يطمئنها.

ألم تسأمي أنّ يتم ربطك دوماً بإنغمار برغمان (ضحك). لم أسأم في الحقيقة. لكَن طرح هذا عندي تساؤلات. فأنا قمتُ بنشاطات أخرى في حياتي، ولكن عاجلاً أم أجلاً، كان يتم ذكر برغمان. هذا الشعور لم يبدأ اليوم، بل أتذكّر انني صارحتُ برغمان بهذا الموضوع، ولم يقل لي سوى: "كوني فخورة". وانني فخورة في الحقيقة، لأن العلاقة بيننا كانت عظيمة، وانطوت على كلّ ما يهمّني في الحياة، من شراكة وفنّ وحبّ وغيرها من الأمور. هذا العام عمّت الاحتفالات بمئويته ودُعيتُ إلى أماكن عديدة حول العالم، واستدُرجتُ للحديث عن أشياء لم يكن يحكي عنها في حياته.

■ **هل ستعودين إلى الإخراج عمّا قريب؟**

لا. لأنني قلتُ انني لن أخرج أي فيلم بعد الآن. أحب العمل مع الممثّلين، وأحب ان أراهم يفعلون أشياء لم أستطع فعلها، وهم توفرت لهم تلك الفرصة. لستُ قائدة. من الصعب انٍ أتحلى بشخصية القائدة. على المخرج ان يكون زعيماً. أيضاً، لم تعد عندي الرغبة في اعتلاء المسرح بعد الآن، هذا يتطلب الكثير من الجهد والتمارين ليلة بعد ليلة. اعتقد انه لا يتوافر عندي الوقت لذلك. قد تحلو لي المشاركة في فيلم، ولكن لا بأس اذا لم أفعل. أريد ان أكتشف ماذا تخبئ لي الحياة بعد هذا العمر، وأنا على حافة الثمانين. قد أكتب وأسرد الحكايات وأروي عن أولئك الذين التقيتهم. ليس إنغمار ولكن آخرين (ضحك). سأعيش حتى أكتشف ما الذي ينتظرني وأنا في خريف الحياة. هذا ما أريد اكتشافه. في ليون مثلاً، لم أتوقّع ان يحدث لي أمر كهذا: لقاء ناس مدهشين، الإنصات إلى قصصهم، رؤية تييري (فريمو) يتحدّث عني، وفجأة الشعور ببهجة عالم السينما، وادراك مدى أهمية هذا العالم، وكم هو مهم لبناء حياة ناس كثيرين، خصوصاً عندما يكونون قد سئموا من التلفزيون والأكاذيب وإلى ما هنالك. كم ملهم هذا كلّه. هذا المكان يجسّد حبّ السينما بكلّ تجلياته.

■ **أكان فارقك هذا الشعور منذ زمن طويل؟**

تقصد هل افتقدته؟ نعم. كنت أذهب إلى مهرجان وأقول في سرّي: "يا إلهي، مقابلة أخرى!". ليست الأمور على هذا النحو في ليون. هنا تلتقي بجمهورٍ. هل سمعتَ خافيير باردم أمس؟ قال شيئاً مماثلاً. هو كان يتعرف إلى الناس الذين يلتقيهم من يوم إلى يوم. وهذا ما حصل معي أيضاً. أرى صبياً وأقول: هذا رأيته أمس! لوميير مهرجان للاقتراب من الجمهور، ونحن بدورنا جمهورٌ، وما يجمعنا هو عشقٍ السينما. ومَن لا يحبّ السينما، لا يمكنه ان يكون جزءاً من هذا المهرجان. بالنسبة إليّ، هذه واحدة من المفاجآت التي لم تخطر في بالي، حتى قبل بضعة أيام. واقفتُ على المجيء من أجل تييري (فريمو) الذي قابلته في كانّ قبل سنوات، لكنني اكتشفتُ سحراً وجمالاً. الجوائز لطيفة لكنها لا تخاطبك لا صباحاً ولا مساءً. لا تُقاس ببهجة الانوجادفي حفل الافتتاح أمس ومشاهدة فيلم لولوش وتناول العشاء مع كلّ هؤلاء الفنّانين.

■ **هل لا يزال التمثيل حاجة عندك؟**

لا، لم يعد حاجة في الحقيقة. لستُ نادمة على توقّفي عن التمثيل. الوقوف خلف الكاميرا لإخراج الأفلام أتاح لي ان أرى ممثّلين آخرين يفعلون ما اعتقدتُ اني لا يمكنني ان أفعله. اليوم، أودّ ان أقلب الصفحة وأصبح حكواتية.

أريد ان أكتب وأحكي قصص ناس لم أستطع الحكي عنهم سابقاً.

■ **ولكن، أليس الممثّل حكواتياً على طريقته؟**

بالتأكيد. ولكن، أستطيع ان أسرد القصص بلا تمثيل. اذا جاءني مخرج موهوب بنصّ بديع، لن أقول "لا". ولكن في مثل عمري، هذا لا يحصل كلّ يوم. لذلك، لم أعد أنتظر تلك اللحظة.

■ **ألم يغيّر الفنّ حياتك مذ خضتِ تجربة الوقوف أمام الكاميرا؟**

الفنّ أشياء كثيرة، ويشمل ما تفعله وأنت تقابلني. عندما أقول "فنّ" أفكّر في الباليه والأوركسترا والأدب. أتعلم ماذا قال تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية؟ قال: "علينا ان ندفع المال للدفاع ولكن علينا ان ندفع المال للفنون أيضاً". وردّ الناس: "لمَ علينا دفع المال للفنّ ونحن في حرب؟". فكان جوابه: "لم نحارب اذا لم يكن للفنّ وجود؟". أجده محقاً. لأن الفنّ هنا لتذكيرنا بمَن نحن ولأي سبب نحن على قيد الحياة.

■ **امتد نشاطك كذلك إلى خارج السينما: الأعمال الإنسانية...**

مجدداً: كي أتذكّر مَن أنا ولمَ لا أزال في هذه الحياة. تخيل انني خلال نشاطاتي، التقيتُ بناس عاديين رأيتُ في عيونهم كلاماً أكثر وأهم من أي لوحة راقصة أوٍ معزوفة أو أدب. هؤلاء علمّوني ماذا يعني ان أكون كائناً من لحم ودم، وماذا يعنيٍ ان نلتقي أنت وأنا هنا، وكيف ان وضعي مختلف تماماً عن وضعك، ومع ذلك نتفاهم. وفي الحقيقة، أنت شخص أفضل مني الآن بسبب الشيء الذي تمنحني اياه. هذا ما شعرتُ به حين ذهبتُ إلى أماكن مختلفة في العالم، لا يملك الإنسان فيها أي شيء، ومع ذلك مستعدٌ ان يشرّبك من كوبه. حتى لو كان عليه ان يمشي عشرة أميال ليملأ الكوب بالمياه، وقد يتعرّض في طريقه إلى الاغتصاب أو القتل. لذلك، كم كنت أتمنى لو انتقل "أنا أيضاً" ("مي تو") إلى "نحن ايضاً". لم أرَ هذا من حيث آتي. سمعتُ ترامب يقول ان صحافياً قُتل، ولكن هذا لن يمنعه من مواصلة بيع الأسلحة للقتلة، لانه يحتاج إلى المال. أنا في حاجة إلى نقيض ما يبحث عنه ترامب.

■ **طوال حياتكِ، نأيتِ بنفسكِ من هذه المواضيع. أعني انٍ أفلام برغمان ليست سياسية...**

(مقاطعةً بصوت عال)... بلٍ هي سياسية بامتياز. لا تسمع ما قيل عنه. خذ فيلماً كـ"العار". يُري شخصين طيبين كأنت وأنا. كان أحدهما يحبّ الآخر، فيرينا الحبّ، ثم تندلع الحرب. ثم نرى النار والقصف الخ. ثم فجأةً، نكتشف ماذا تفعل الحرب به. وماذا تفعل الحرب بها. كانت إنسانةٍ مرهفة وحنونة. تصبح هشة. هو يغدو شريراً. بارداً. نازياً. اعذرني، هذه سياسة! هذا ما تخلّفه الحرب. القنابل مرعبة لا شكّ، ولكن ما يهمّ برغمان هو الإنسان الذي كان يلقيها. هذا ما تدور عليه أفلام برغمان: كيف نتحوّل وننزلق؟ كيف نصبح لامبالين، لا يهمّنا الآخر، وهذا أحد السبل لفقدان الإنسانية.

■ **ألا تخافين من الغد في ظلّ تغذية التعصّب؟**

خائفة جداً. أكثر ممّا كنت خائفة عندما كنت صبيّة. ليس لسبب آخر سوى لأنني أرى ان انعدام التسامح خطر جاد. لا تستهين بهذه الهواتف النقّالة. لقد فقدنا القدرة على التواصل الحقيقي. وأهم شيء هو التواصل والنظر بعضنا في عيون بعضنا الآخر.. .لقد وضعتَ اصبعكَ على منطقة حسّاسة، اذ ماذا سيبقى من أفلامَ برغمانٍ من دون الوجوه والنظرات... صحيح. تنهض صباحاً وإلى جنبك في الفراش مَن تحب، فتراه مهتماً بهاتفه أكثر ممّا مهتمّ بك.

■ **عندي فضول ان أعرف: هل أجابت الأفلام التي مثلتِها في ادارة برغمان عن أسئلتك الوجودية؟**

لا. برغمان منحني أجوبة كثيرة، لكن أناساً عاديين تعرفتُ إليهم، مدّوني بأجوبة أيضاً. ناس من مختلف المشارب والانتماءات. أدباء، وشعراء ورسّامون وسينمائيون. لا، لا يُمكن لرجل واحد ان يمنحني كل الأجوبة.

مع ذلك، فأفلامكما معاً ألهمت آلاف البشر حول العالم، وإسمحي لي ان أقول لك بأنني واحد منهم...

أتعلم ماذا؟ سرّه في كتاباته. الناس لم يدركوا أهمية ما كتبه دوماً لأن الصورة كانت قوية إلى درجة... ولكن ما قاله كان بالعظمة نفسها. اليوم، عندما يحتفون به، في العالم كله، بات يُنظر اليه بنظرات مختلفة. "سوناتّا الخريف" فيلم باليه في مكان، وفيلم أوبرالي في مكان ثان... كان حلمه انٍ يكون معروفاً ككاتب لا كسينمائي. كلمّاته ألهمت ناساً يعملون في مجالات مختلفة، لا فقط سينمائيين.

على خشبة "مسرح أوديون" الواقع في وسط ليون، التقت الممثّلة التي تبلغ الثمانين في كانون الأول المقبل الجمهور، وتحدّثت عن حياتها المشتركة مع برغمان، عن نبذها لمنهج ستانيسلافسكي وعنٍ إنغريد برغمان التي لم يستطع مخرج "الختم السابع" ضمّها إلى عالمه بسبب خلاف حاد نشب بينهما. في الآتي ثلاث لحظات من هذا اللقاء:

١ - «نحن صوت مَن خُطفت أصواتهم»

«مثّلتُ في الكثير من الأفلام قبل لقاء إنغمار. عندما التقيته تغيّرت حياتي. ثم مثّلتُ في "المهاجرون" الذي أخذني إلى هوليوود، فرُشّحتُ لـ"أوسكار"، ومجدداً تغيّرت حياتي. وجد الأميركيون انني لطيفة جداً لا أشبه النساء المتشنّجات عند برغمان. الكلّ كان يبغيني، فأصبحتُ نجمة لسنتينٍ في هوليوود. مثّلتُ في أربعة أفلام هوليوودية جداً، حتى انني نجحتُ في إقفال استوديوين (ضحك). ثم، اعتليتُ خشبة برودواي، وألّفتُ كتابين، فتغيرت حياتي مرة أخرى. ورحتُ أساعد اللاجئين وأذهب إلى بلدانهم وكان هذا أكبر تغيير في حياتي.

اذا أردنا التحدّث عن ماهية الفنّان، فوظيفته تقتصر على ان يكون ناطقاً باسم الناس. انه لتحدّ عظيم. كان برغمان يردد بأنه لا ينجز الأفلام للعقل بلّ للروح. خذ راقص الباليه: فجأة يقفز في الهواء ويبقى في الجوّ لثوان أطول من الفترة الممكنة. هذا هو الفنّ. هذه هي مخاطبةً روح الناس. نحن صوت مَن خُطفت أصواتهم. للمناسبة، لا أعتقد ان اللاجئين إرهابيونَ وأشرار، هؤلاء اضطروا إلى ترك بلدانهم لأنه ضاقت بهم السبل ولم يعودوا بأمان في بيوتهم. ينظرون الى المحيط ويرونه أكثر أماناً من أرضهم. الأشياء التي نسمعها ونراها في التلفزيون تشي بانعدام إنسانية أفظع بكثير ممّا يُتّهم به اللاجئون".

٢ - "ان تكون في كوابيس مخرج تعيش معه»

«إنغمار أنجز "برسونا" لأنه كان يعبر في أزمة وجودية. لم أفهم كلّ شيء في الفيلم. كنت في الخامسة والعشرين يومها. لكنني فهمتُ انني كنت انعكاساً له. وهو كانٍ كمَن ينظر في مرآة تتكسّر فجأة. لم يكنٍ يقول للممثّل قطّ ماذا يجب ان يشعر وبمَ يجب ان يفكّر. فقط السينمائيون السيئون يفعلون ذلك. كان يعطيك نصّاً رائعاً وحوارات بديعة، ثم يقف إلى جانب الكاميرا. كان لدينا أفضل "جمهور" هناك جنب الكاميرا؛ شخص يعرف ينصت ويشاهد، فيشعرك بأنك مبدع. المخرج الجيد هو الذي يتيح للممثّل ان يكون خلاقاً.

أنجزنا فيلمين ونحن نعيش معاً. غني عن القول ان الحال كانت أفضل بعد الانفصال. فكنت بدأتُ أعتاد فكرة ان أتناول الفطور مع شخص يروي لك كوابيسه وأنت تعلم انك ستكون فيها. لم يكن "مَشاهد منٍ الحياة الزوجية" من وحي تجربتنا في العيش معاً. كان عن انعدام التواصل بينهما. حكايتنا تحوّلت حقيقة لأننا كنّا صديقين وأحبّ أحدنا الآخر. واستمر هذا حتى وفاته. عملنا معاً بشكل جميل. لحظات كثيرة من حياتي أمضيتها من دونه، ولكنٍ لطالما ارتبط اسمي به. عندما صارحته بذلك، قال لي: "أنت السترادیفاريوس الخاصة بي. بعد سنوات، ابنتي كتَبت في كتابها: "أمي لا تعلم انه هناك ستراديفاريوس جيد وستراديفاريوس سيئ". (ضحك)».

٣ - «أخرج كليّاً من الشخصية»

«درستُ ستانيسلافسكي كثيراً خلال شبابي. ولكنني اكتشفتُ انه لا يلائمني. لأنني أؤمن بأنٍ الحياة هي مدرستي. وعند ستانيسلافسكي، كثيراً ما عليك استحضار ذكرياتك وتجربتك الحميمية لبناء الشخصية. مشكلتي ان هذه التقنية تجعل كلّ شيء يلفّ حولك ولا يبقى الا القليل من العالم الذي يحيط بك. تقنيّته مهمّة جداً للذين استخدموها، ونعرف ممثّلين أميركيين كباراً طبّقوها على أكمل وجه. اشتغلتُ مع البعض منهم، ولا يمكنك ان تتواصل معهم خلال الاستراحة لأنهم يكونون داخل الشخصية. وهذا يختلف عمّا أنا عليه. فعندما ينتهي تصوير المشهد، إمّا أكونٍ سعيداً من النتيجة وإما نعيد اللقطة، لكنني أخرجٍ كليّاً من الشخصية التي اضطلع بها. في مرحلة، آمنتُ بطريقة ستانيسلافسكي، ولكن منذ سنوات لم أعد أنتهجها.

مع برغمان، كنّا نتمرّن لنحو أسبوع أوٍ أسبوعين، وعلى حدّ علمي لم يكن يعمل سوى مع ممثّلين من المسرح، الذين كانوا يهوون التمارين. كان يراقبنا ثم يأتي مع الكاميرامان ليقرر الزوايا. كنّا نكرر اللقطة ثلاث مرات أوٍ أربعاً حداً أقصى. وبصفتي ممثّلة، أفضّل لقطتين. مجدداً أقول: كان مشاهداً رائعاً. يعرف عنك أكثر ممّا تعرف أنت عن نفسك. كان يديرك بشكل جيد من دون ان يشرح لك لماذا تقوم الآن من كرسيك وتتوجه إلى النافذة. وعندما كنت تبدأ في التنفيذ، مشاعر أخرى كانت تدهمك. ولكن لم يكن يملي عليك المشاعر. أمس، سمعتُ أحدهم يقول عن مخرج رائعٍ انه مستعد ليدفع كي يشتغل معه. هذا ما كنت فعلته أيضاً لأعمل مع إنغمار، لأنه كانٍ يستخرج منك الإبداع، كانٍ يسمح لك بأن تكون مبدعاً. عندما صورت "وجهاً لوجه" حيث اضطلعتُ بدور فتاة تقرر الانتحار في البيت الذي تربت فيه، لم يعطني إنغمار أي حوار. السيناريو كان يقول انني أتجرع حبّة وأموت. إنغمار لم يقل الكثير لي، لكنني سمعته يسأل أحدهم مباشرةً قبل التصوير: "هل استبدلتَ حبوب التنويم بفيتامين سي؟" (ضحك).

إنغريد برغمان كانت ممثّلة رائعة وسيدة عظيمة وكنت معجبة بها. لكن الأمور لم تكن على ما يرام بينهاٍ وبين إنغمار لأنها كانت تطرح عليه أسئلة من نوع: "لمَ أقول هذا الكلام هنا، لا يبدو طبيعياً، غيّره أرجوك". هكذا استمرّت خلال قراءة السيناريو. بصراحة، لا يُمكن العمل على هذا النحو مع إنغمار. لذلك، لم يتجدد العمل بينهما. نشب خلاف خلال تصوير أحد أفلامه لأنها أرادت تغيير الحوار. رفضت ان تلتزم حوارها وقالت انها غير قادرة على قول مثل هذا الكلام، بل اقترحت ان تصفع خصمها في الفيلم وتخرج من الغرفة. كلاهما امتعض وصرخ، وتوقفا عن العمل. بالطبع ربح المخرج المعركة. رُشّحت لـ"أوسكار"، ولكن لم يصبحا صديقين بسبب الفَوارق في طباعهما"..

عن جريدة النهار اللبنانية

ليف أولمان..تتغيّر

أحمد ثامر جهاد

"أريد أن اكتب عن الحب، عن كوني كائنا بشريا،عن العزلة،عن كوني امرأة.."

من أجدر من الممثلة العالمية ليف اولمان،المعروفة، بغنى حياتها وإبداعها، في كتابة مذكراته، من امتلك مثلها ذاكرة عامرة بالمواقف والإنجازات والمشاعر الكبيرة؟.

إن اولمان من بين قلة من مبدعي العالم، نحتت اسمها بقوة في ذاكرة الجمهور..

في مذكراتها الموسومة (أتغيّر) والمهداة إلى ابنتها لين، تستعيد اولمان أهم محطات حياتها بأسلوب رشيق ومؤثر يليق بسيرة فنانة استثنائية نذرت روحها وسخرت جسدها للفن في المسرح والسينما.

وقد اختارت لمذكراتها الصادقة والجريئة مسارا حرا لا يلتزم بسرد نمطي يلاحق تغيرات الحياة عبر تتابعها الزمني، وإنما ركزت حديثها حول المواقف التي أثرت في حياتها والأشخاص الذين تفاعلت معهم، فضلا عن طرح تصوراتها حول أبرز أدوارها السينمائية، والأهم من ذلك كله طبيعة فهمها للحياة، ومحاولة قراءة ذاتها والآخرين في تأمل يتسم بالوضوح والجرأة والخفة..

عبر مشوارها الفني الطويل خبرت اولمان كيف أن النجاح والفشل يغيران الإنسان من حال إلى حال، وأن الفرد وحده من يصنع أقداره في هذه الحياة، بتوقه إلى السعادة أو مواجهته للفشل. لكن الألم يختبئ هو الآخر عند نهاية كل ابتسامة، فيكون الأسى أكثر ما يحصده البشر في حيواتهم، إذا ما تأمل المرء صور ماضيه ومستقبله، إذا ما أخطفته الوحدة في غفلة من الزمن، وانفض الجمع الأثير من حوله.

الفتاة النرويجية التي خلا وجهها من مسحة الجمال الاسكندنافي حملت في دواخلها روحا أوربية أعمق مما تفعله مساحيق التجميل على محيا نجمة سينمائية طافت شهرتها العالم كله.خاصة أن تلك النجومية اقترنت بأبرز أفلام المخرج السويدي الكبير انغمار برغمان الذي أصبح زوجها في منتصف مشوارها الفني.

×××

أول صورة تخطها ليف اولمان في مذكراتها تتعلق بولادتها عام ١٩٣٨ في مستشفى صغير بطوكيو. إشارة ذات دلالة عميقة تستعيد اولمان من خلالها تلك الحادثة وتقول إن أمها تتذكر شيئين عن ولادتها.

"الأول أن فأرا مر من أمامها واعتبرته فألا حسنا، والثاني أن الممرضة همست في أذنها بنبرة اعتذار.. يؤسفني أنها فتاة.هل تفضلين إخبار زوجك بنفسك؟".

من تلك اللحظة لم يفارق اولمان الشعور بأنها ليست أفضل شيء يمكن أن يحدث بالنسبة لوجودها.رغم ذلك رسمت الفتاة الشهباء ذات الملامح الحادة لنفسها مسارا قاسيا ومثابرا من أجل تحقيق أحلامها وطموحاتها..

عشقت الكتابة والموسيقى وأبدعت في التمثيل المسرحي منذ مطلع شبابها، وامتحنت قدراتها الأدائية وطاقتها الذهنية على الابتكار والتقمص والتنويع وهي تؤدي على خشبات المسارح الأوربية عشرات الأدوار الصعبة في أعمال مسرحية بارزة لكتاب مثل ستريندبرغ وابسن وبريخت وآخرين.

ومثلما لم تبعدها السينما عن عشقها القديم للمسرح، فإن بريق نجاحها السينمائي لم يسرق منها لذة الهدوء الداخلي الذي طالما انجذبت إليه.لقد وجدت اولمان نفسها في الاسترخاء والصمت والتأمل؛ في ذلك النوع من السكينة والصفاء الذي عرفت به المدن الاسكندنافية الباردة،حيث يمكن للمرء بعد انتهاء يوم شاق التمتع بالجلوس إلى جوار نافذته في شتاء ممطر،يراقب حركة الناس العائدين إلى منازلهم بخطى عجولة.

تتحدث اولمان في مذكراتها عن ذلك الوجود الحميم للأشياء.متعة تناول وجبة عشاء مع الأصدقاء على مائدة واحدة تزينها الشموع وكؤوس الشراب الأحمر، والاستماع إلى ثرثرتهم وهي تخلف سعادة خاصة وشعورا أليفا من أن لا شيء يحصل،لا شيء يمكن له أن يكدر المرء في أمسيات كهذه.

هذا الميل الذي تكنه اولمان لنمط بسيط من العيش يمكن عده وسيلة ذاتية لمكافحة القلق المتأصل في حياة الكائن. قلق أزلي برعت اولمان في التعبير عنه عبر العديد من الشخصيات التي جسدتها في السينما، خاصة أدوارها في أفلام برغمان:العار، وصرخات وهمسات، وبرسونا، وسوناتا الخريف.

كيف يمكن لنا ببساطة نسيان دورها المعجز في فيلم برسونا،أحد أجمل وأعمق أفلام برغمان. أظهرت اولمان في هذا الفيلم جل قدراتها الأدائية من خلال التعبير بوجهها وحركاتها فقط من دون أن تنطق بكلمة واحدة. إنها تتذكر على نحو خاص هذا الفيلم الذي شاركتها البطولة فيه الممثلة بيبي اندرسون، وتقول إنها كانت سعيدة بالحوارات التي تثار بين الممثلين والمخرج، كما تعبر عن إعجابها بموهبة اندرسون وكيف أنهما أمضيتا معا أياما جميلة في جزيرة فارو حيث تم تصوير مشاهد الفيلم.

عن زميلتها بيبي اندرسون تقول اولمان: "كنا نتخيل المستقبل، وزواجنا، وطفولتنا وشبابنا، ونعد بأن نصبح عرابتين كل منا لأطفال الأخرى".

"كنت معجبة بكرمها وإخلاصها. قويت صداقتنا وصمدت على مدى السنين."

كما تبدي احترامها لطريقة برغمان في العمل السينمائي وقدرته السريعة على فهم الممثلين، فضلا عن بداهته في توجيههم والنقاشات الطويلة العسيرة والجميلة التي تثار من أجل الوصل إلى أفضل رسم ممكن للشخصية.

"كانت المرة الأولى التي أقابل فيها مخرجا سينمائيا يدعني أميط اللثام عن مشاعر وأفكار لم يكن أحد قد لاحظها من قبل.كان ينصت بصبر، وسبابته على صدغه، ويفهم كل ما كنت أحاول التعبير عنه.كان عبقريا خلق جوا يمكن أن يحدث فيه كل شيء،حتى ما لم أكن أعرفه عن نفسي".

×××

ما لا تخطئه عين القارئ، ذاك الحزن المستتر خلف عبارات اولمان، وإن بدت احتفائية في بعض المواضع، فهي وإن كانت تستعيد أجمل لحظات حياتها في الحديث عن فترة زواجها عام ١٩٦٧ برفيق رحلتها المخرج برغمان (له أربع زيجات سابقة) وخصوصية علاقتهما ومشاريعهما المشتركة، إلا أن قسوة انفصالهما كانت دافعا قويا لإعادة التفكير بالأشياء على نحو مغاير، فالألم على ما يبدو أكثر ملائمة من سواه لأن يكون حافزا فعالا للتغيير.

مع ذلك تحافظ اولمان على طرافتها وانفتاحها على الحياة، وتمنح نفسها فرصة أخرى للنظر إلى ما حدث ويحدث بشكل يتسم بالتبصر والإدراك العميق. ربما يكون وجود برغمان أفضل شيء حصل في حياتها، لكن مواصلة رسالتها في الفن ومنح ابنتها الذكية لين كامل حنانها وآمالها يشكلان قيمة إنسانية لا تعوض، وليس مهما حينذاك التفكير بإجابة عن كون ذلك الانفصال ضروريا أم لا. المهم هو الحفاظ على الصداقة الخاصة التي جمعت المخرج بهذه الممثلة في أروع مسيرة تعاون مشترك في تاريخ الفن السينمائي.

إن اولمان بفعل طبيعة شخصيتها المعقدة من جانب، والإصرار على فعل شيء ذي قيمة، تعلمت أخيرا أن تتغير، لكن على طريقتها الخاصة.

هاهي تقول "إن الأشخاص الذين تلامست حياتهم، يحتاجون إلى تجديد الاتصال، حتى بعد أن يذهب كل منهم في اتجاه مختلف،حتى وإن أصبحت الحياة الجديدة لكل منهم جزء مما يتقاسمونه الآن.."

"لا أحد يمتلك أي شخص آخر.إننا معا يملك كل منا الآخر والطبيعة والزمن."

ربما الأجمل في تفكير اولمان أنها تستمد قوتها ليس فقط من مؤازرة الآخرين الذين أحبوها،بل من الأشياء والطبيعة..من كل ما تحبه بقوة..

رغم تلك المشاعر المؤلمة لم تتوقف اولمان عن سرد ذكرياتها الجميلة عن المدن الأوربية التي زارتها والمسرات التي عاشتها في السفر إلى أماكن مختلفة، فضلا عن الأوقات التي أمضتها بصحبة الأصدقاء والمعجبين ولقاءاتها بعدد من الشخصيات العالمية المعروفة. وعلى الدوام هناك مساحة كافية لإيفاء الآخرين حقهم من الكلام.

تستطيع ليف تذكر الجميع وهي تتحدث عن الأوقات التي استغرقتها التحضيرات لبعض الأدوار السينمائية وطبيعة العلاقة الحميمة مع المسؤولين عن تصميم الأزياء والمكياج والمساعدين في حفظ الأدوار. لكل شخص مذاق خاص يصعب نسيانه.

أما حسها الأدبي في التعامل مع الأشياء وتأمل طبيعتها فقد كان زادها الذي تلجأ إليه دائما وهو مصدر شاعريتها ورهافتها.

تذكر اولمان"أن الإحساس بالريح وأشعة الشمس تلامس الوجه، وفي الوقت نفسه الإحساس بعبير الأشجار والصخور وتربة الأرض التي أسير عليها يلامس بشرتي، إنما يشكل جزء مما يغيّر حياتي".

إن هذا الانتماء الروحي للطبيعة والشغف الجواني بكائناتها وأصواتها جعل اولمان من نمط أولئك الفنانين الذين يظهر عليهم جليا الانزعاج من البهرجة والإسراف في المظاهر، وعدم الارتياح للأماكن الفخمة وأجواء الكرنفالات الفنية التي تعج بالنجوم والمنتجين المهمومين بسبل توظيف أموالهم..لم تحب اولمان كل من يبدو عليهم الارتزاق من الفن،الذين يتاجرون بكل ما له قيمة إنسانية، أولئك الذين يضطرون لسرد الكثير من الأكاذيب واختلاق المزيد من الحيل للوصول إلى غاياتهم.

حتى أنها تذكر الاحتفاء الكبير الذي استقبلت به لدى زيارتها أمريكا..وكيف أنها لم تستطع التجاوب مع وجود شاب مهذب بثياب أنيقة يقف طوال الوقت عند باب غرفتها في الفندق من أجل تلبية طلباتها كنجمة سينمائية عالمية.

على الدوام أرادت اولمان أن تفوز بلحظة خاصة مع ذاتها. لحظة تراجع فيها ما فعلته وما ينبغي عليها فعله.

لقد منحتنا اولمان في هذا الاعتراف الطويل عزيمة أكبر على مواجهة مشاق حياتنا، إذا ما تقبلنا خسارتنا وسعينا لتقديم ما هو أفضل لأنفسنا وللآخرين..

"لم يعد في إمكان شيء أن يؤذيني بعد الآن"..قالت اولمان..

ليف أولمان وإنغمار برغمان.. الشغف الشقي

يونس ايمان حميدان

قد استطيع اختصار سبب وقوف الممثلة النروجية العالمية ليف اولمان (٧٥ سنة) امام الكاميرا لتروي حياتها مع برغمان في فيلم وثائقي، بكلمة واحدة: انه الحب. الحب تجاه رجل عاشت معه حياة مليئة وغنية على مستويات عدة. لكن بعد ٥ سنوات ترحل تاركة وراءها من احبت رغم بقاء رابط قوي بينهما ترك اثره على حياتيهما قبل وبعد الانفصال. الفيلم يدخلنا الى تلك العلاقة بالذات علاقة شغف بين اثنين الممثلة ومن ثم المخرجة ليف اولمان والمخرج السويدي انغمار برغمان. وهو يقدم ببساطة وعمق أخاذين تلك العلاقة وسط تداخل حياة الاثنين الغنية بين اشكاليات الحب واضطرابات الشغف الذي رافق عملهما معا في افلام عدة قام برغمان باخراجها واعطى فيها ليف دور البطولة. بحضور آسر وكلمات بسيطة وعميقة سردت اولمان قصة حياتها وعلاقتها مع برغمان الزوج والمخرج وذلك امام عدسة كاميرا الانكليزي من اصل هندي ديراج اكولكار كاتب ومخرج فيلم «ليف وانغمار».

لكن ان يقوم شخص معروف بسرد قصته امام الكاميرا هو ليس بأمر جديد، الا ان الجديد في هذا الفيلم محاولة ليف اولمان ان تغوص في ذاكرة مريرة ومؤلمة بروح متسامحة الى اقصى الحدود، وبحب لافت لم تضعفه تجربة معاناة شخصية بل صقلته. تعود الى فترة من حياتها الماضية التي قضتها مع انغمار برغمان مخرج افلامها وحبيبها، وتسرد نتفا من هنا وهناك، تلك التي عنت لها وتركت اثرا عميقا جدا في النفس. قد تكون قصصا موجعة أو حوادث صغيرة اقل ايلاما، او حتى لحظات حميمة شعرت معها ليف انها اسعد امرأة على الارض، لكن سردته بكرم انساني نادر. اضاف هذا الواقع المهم في كيفية التعامل مع الذاكرة ابعادا انسانية عميقة وذكية الى فيلم قد يبدو عاديا للمشاهد. الفيلم الذي يبدو سردا بسيطا لعلاقة رجل وامرأة مر عليها اكثر من اربعة عقود، قد يثير لمن يهتم بموضوع الذاكرة جملة اسئلة عن كيفية التعامل مع ذاكرة العلاقات الحميمة المبتورة ولو بعد زمن. يثير سؤالا حول كيف تُروى ذاكرة علاقة مريرة؟ كيف نروي ذاكرتنا حول مسائل شخصية أو عامة حدثت في الماضي وأثرت علينا في الحاضر وعلى الناس الذين حولنا. عادت ليف الى حياتها بحب خاصة تلك الفترة المؤلمة التي عاشتها مع برغمان والتي اضطرتها الى الرحيل يوما دون ان تفهم لماذا، ودون ان يناقشا موضوع الرحيل. ليس سهلا ان ننظر الى الماضي المرير، وان نتوقف عن السماح له بإيلامنا، وان نرحل بعيدا. أن ننجح في ابقاء المرارة بعيدا عنا، وان نتذكر بعد زمن الماضي نفسه بحب وتسامح، هو مشروع بحد ذاته وهو الذي أعطى ما سردته اولمان في الفيلم قيمة ومعنى. انها النظرة الى تجربتنا والى الناس الذين تقاسمنا معهم حبا يوما ما، نظرة الى انفسنا والى العالم الذي حولنا. انها روح العدالة والتسامح التي طغت على حديث اولمان وخاصة حين تعود الى اللحظات المؤلمة من حياتها مع انغمار. انها لا تحكي عن حياتها فحسب بل عن حياة اثنين تميزت تفاصيلها الغنية بالشغف والالم والفراق والانتاج الغزير الى حد ان بعض افلامهما قد تكون من اجمل ما اعطت الشاشة الذهبية في القرن العشرين. افلام لا تُنسى من برسونا الى صرخات وهمسات الى سوناتة الخريف الى العار. افلام عن اليأس، الموت، الوحدة، الخيانة، خيبة، الامل، اللاجدوى والجنون. تحكي ليف اولمان قصتها مع انغمار برغمان ببساطة وشفافية وصدق. علاقة مضطربة شائكة صعبة تحاول تفسيرها بعد سنوات طويلة. شغف تحول الى وحشة واضطراب، توصل الى عنف صامت او كلامي ونفسي وشعور قاتل بالوحدة وعدم القدرة على الحلم.. اوصل ليف ان تترك البيت الذي بناه انغمار خصيصا لها على جزيرة صغيرة نائية في بحر البلطيق. تركت ليف المكان وراءها كما دخلته: بحقيبة... لكن زائد ابنة صغيرة هي لين اولمان، ثمرة حبهما. اللقاء الاول التقت اولمان بالمخرج الكبير ولم تتجاوز الخامسة والعشرين. لقاء شعرت معه انها غير قادرة على التنفس وانها تريد ان تبكي. كانت منبهرة بذلك الرجل الذي يكبرها بحوالي ٢٠ سنة الا ان انبهارها قد تحول الى حب جارف عاشته بكل سعادة قبل ان تنتقل للعيش معه وقبل ان يتحول ذلك العيش ببطء صامت الى وحشة ووحدة وضيق وشعور ان حلمها في مكان آخر وانها ما هي الا تحقيق لحلمه هو. استطاع برغمان جمع اجزاء حلمه. حلم ببناء بيت على جزيرة فارو وهي جزيرة صغيرة على البحر البلطيقي. هناك صور ستة من افلامه التي لعبت ليف اولمان بطولتها... جمع المكان الذي اراد العيش فيه والمرأة التي اراد العيش معها. هذه احلامه. كانت هي جزءا من حلمه، لكن سرعان ما شعرت بالضيق في مكان لا يشكل جزءا من حلمها، ليس هذا فحسب، بل لا يتسع لحلمها ذلك ان وجود برغمان الطاغي التهم كل شيء! ذلك المكان الذي اختاره برغمان لحياتهما لم ترده ليف ولم تحبه بالطريقة نفسها. لم تحب معناه ولا معنى عزلته التي بدت بالنسبة لها سجنا وقيدا. من اجل التذكر كان لا بد من العودة الى الجزيرة نفسها، حيث يستعاد الماضي بامكنته وروائحه والوانه. ارى ليف في سيارة تسير على شاطئ الجزيرة....

هناك تشير الى محل اقامتهما لمدة ٥ سنوات هي وانغمار (١٩٦٥ الى ١٩٧٠). تاريخ يعود الى ٥ عقود خلت، تعود ليف لتتذكر حياتها هنا في المكان العزلة حيث بنى برغمان بيتهما على جزيرة فارو في البحر البلطيقي وحيث عاشا ٥ سنوات معا تصفها ليف اولمان انها تشبه الألم الذي اختارته. ليف بطلة برسونا وسوناتة الخريف وصراخ وهمسات ما زالت جميلة. امرأة جميلة تجاوزت السبعين تغطي وجهها وعنقها ويديها التجاعيد. عيناها تشعان بالبريق نفسه، بريق الحب والرغبة، الرغبة في الحرية والوحدة وفي ان تكون هي كل لحظة. عندها كثير من الذكريات على جزيرة فارو كذلك من الاصدقاء القاطنين في امكنة قريبة من الجزيرة. مثلت العديد من الافلام هناك كذلك أخرجت عددا مماثلا ايضا. زيارتها بهدف تصوير الفيلم الوثائقي ايقظ ذكرياتها ومشاعرها. التقت بانغمار هناك ايضا. ذلك اللقاء الذي غيّر كل حياتها. صيفهما الاول في السويد بداية تعاونهما السينمائي في فيلم برسونا وكان الجو حارا جدا. لم يتكلما كثيرا. كانت تمشي حافية على الرمل. كانت علاقتهما في بدايتها. بدت سعيدة ذلك الصيف. هناك الشمس والرمل والقدمان العاريتان، هناك الرغبة ايضا. لم تشأ ان تسأل عن مستقبل العلاقة. قالت انها لم تعش صيفا مثل ذلك الصيف.

كانت دائما تقرأ في اوقات الاستراحة بين فترات التصوير، وكان هو يهتم بكل شيء تقوم به. كان ينظر اليها دائما وهي تقرأ، وكانت تشعر بذلك. وعلمت انه يحبها. كانت تشعر ايضا بأنه غير طبيعي. انه الشغف. كتب لها: انت في كل مكان. في الضوء، في باب الغرفة، على الكرسي. يؤلمني انك بعيدة. اريد الاتحاد بك، في انوثتك ونعومتك. بعد قراءة الرسالة أمام الكاميرا، علقت ليف «انغمار كان مثل الجحيم ورقيق الى حد الرومنطيقية في وقت واحد!». في البداية كانت حاجة كل واحد للآخر بمثابة جوع. صار كل شخص ضروريا للآخر. كل واحد رأى ثورة في الاخر. بدت العلاقة تحتوي كل شيء، من الشغف الى الجنس الى العمل الى الفن... الى انتماء كل واحد الى شريكه. ربما ذهبا بعيدا في ذلك. او ربما مهما حصل... سيتبدى بعد وقت وهم الانتماء. كنا اطفالا... تقول، وكنت سعيدة لمدة طويلة وكان الاصدقاء حولنا. لكن عندما فهمت انه أصبحنا نحن فقط... وسنكون هو وانا معا وحدنا... خفت. «بالطبع هناك فرق بين ان نعيش شغف الحب وبين ان نرضخ لفكرة اننا سنعيش رأسا برأس معاً طيلة الحياة! خافت ليف وهربت الى النروج. لكنه لحق بها، زار اصدقاءها متوسطا ان تعود اليه. «من الضروري ان تكون ليف معي في حياتي» قال. اتوا معه الى شقتها، وقالوا لها «يجب ان تعودي معه. وعادت معه...». تركت زوجها الاول كي تعيش مع برغمان. ارادت الامان والحماية والانتماء، اما هو فأراد أما... ذراع أم. لم تكن أما، ولم يكن قادرا على الحماية. تقول ليف انها ما زالت تحتفظ برسائله. كتب لها في احداها: انت نجمتي الوحيدة! ليف كانت ملهمة برغمان ونجمته الا انها لم تستطع تحمّل ان يكون هو «بيغماليونها» كأن افلام برغمان انتقلت من الشاشة الى حياتهما معا. العزلة اجمل ما في الفيلم عودة ليف الى بيتهما المنعزل على الجزيرة حيث كانا يكتبان على الابواب والجدران قصة حبهما. بقي القليل من اثرهما زينته قلوب حمراء صغيرة كانت هي ايضا تزين رسائل انغمار لها. هذا البيت حولته ابنتهما، لين اولمان، الى مقر لاقامة الفنانين لمدة قصيرة يعملون أثناءها على فيلم او سيناريو او كتاب.

ولبناء البيت قصة. مرة ابتعدا في البحر واكتشفا مكانا في جزيرة، مكانا منعزلا وحيدا. حينها أمسك بيدها وقال: حلمت اننا متصلون بشكل مؤلم. على نفس المكان الذي وقفا فيه بنى انغمار بيتهما، وهذا غيّر حياتيهما. دخلا الى بيتهما الجديد. احد الاصدقاء جلب شمبانيا وهي كسرت القنينة احتفالا. مشيا على شاطئ البحر. بدت سعيدة تلك الليلة ولكن رغم ذلك أتتها فكرة غريبة مخيفة: هذا حلم وهي جزء من حلم الاخر، حلم شخص آخر. تقول «تركت زوجي من اجل انغمار. حملت منه بابنتي قبل طلاقي. اصبح حلم السكن ثقيلا علي هنا. لم يشأ انغمار ان يزورني احد في بيتنا المنعزل. وفي السنة الثانية بنى جدارا حول البيت، وبدأ الوضع يبدو كأنه حلم، حلمه هو وليس حلمي أنا. لم يردني أن أذهب الى بلدي. عملنا فيلمين معا وكان نهار الاربعاء هو فرصتي. وكنت أخرج وألعب بالماء واشرب الويسكي. وكان هو يقف قرب السياج وينظر الى الساعة وينتظرني. هذا أصبح شيئا من السجن، والشتاء أسود والاشجار عارية دون لون. أمر محبط. بات يجلس في مكتبه لساعات، يستمع الى الموسيقى. اعلم انه وجد جزيرته وكنت أحاول ان احب حلمه. في الليل عندما لا ينام كنت أجلس قربه خائفة من تفكيره. أحيانا أخاف انني لست جزءا من الجزيرة وصار حلمي أن أعيش رغباته. احيانا كان يقول لي لا تتركيني ليف، لن أؤذيك، احبك. احيانا اشعر اننا تركنا حياتنا للشياطين ولكن كان هذا مرعبا». لكن لحظات سعادة كثيرة عاشتها معه. أثناء الليل في الفراش، الاصغاء معاً الى أصوات المحيط، والطريقة التي يعانقها بها، ولم يكن هناك أي شيء يعكر صفو لحظاتهما، لا يقولان أي شيء. يصمتان مكتفيين. ثم أنجبا طفلة معا! ولادة الطفلة غيّرت شيئا في ليف. الشعور الكبير بالامان، وانها باتت تعلم انها هي، أي ابنتها، ستكون معها في هذا العالم، تسمعان الموسيقى وتريان الصور معا. هي وابنتها معا. شعرت ان والد ابنتها بات عليه ان يعيش حياته قريبا منهما. الليلة التي عادت فيها من المستشفى الى البيت لعبت بخاتم الزواج. قرأت رسالته لها ولابنته. لن يحدق بها أي خطر بعد الآن... شعرت حينها. تقول عن حياتها مع اثنين بدلا من شخص واحد: «في الجزيرة كنت عصبية سرعان ما أفقد صبري. كنت كممسحة للاثنين، أركض من الواحد الى الاخر دون ان اكون قادرة ان اعطي ولا ان آخذ. كنت وحيدة وهو ليس السبب ولا ابنتي. انها «أنا او نحن» وكيف نتعامل مع هذه الوحدة. هذا هو الفرق». اضافت. في تلك المرحلة من حياتها وبعد ولادة ابنتها شعرت ان هناك شرا لا تستطيع تفسيره. شر مغر غير منطقي لا يخضع لأي قانون عالمي. لا شيء يخاف منه الانسان اكثر من هذا الشر. بعد وقت قصير بدأت تواجه غيرته، عنفه دون حدود. أغلق كل الابواب، حتى الاصدقاء، حتى عائلتها، اصبحوا خطرا بالنسبة اليه على علاقتهما ودخلت ليف في عالم غيرته... «كان هناك غضب بي، ولم اكن استطيع اخراجه. الان إشكر ربي انني كنت أعمل في السينما، عبر عملي كنت أخرج العنف من داخلي في الافلام. كل غضبي خرج في السينما. هو ايضا كان يخرج غضبه علي كمخرج. أذى غيرته كان نفسيا أكثر منه جسديا لأنه كان يعرف كيف يقول الاشياء التي تبقى فيك الى الابد. مثلا في فيلم كان هناك نار قوية وكان يطلب مني ان اقترب اكثر من النار وخفت. غضب من خوفي.

كنت أعلم في اعماقي انه ليس بغضب عادي لمخرج بل غضب رجل من امرأة. كنا نتشاجر واهرب منه واختبئ في الحمام وكان يكسر باب الحمام... ثم حين يهدأ يترك لي رسالة، «حبيبتي ليف اعتقد ان انغمار كان سيئا معك. اعتذر بالنيابة عنه». الرحيل ثم الصداقة الحادث الذي دفع ليف اولمان للرحيل كان اثناء تصوير فيلم العار. «درجة الحرارة كانت ٣٠ تحت الصفر» تقول ليف، «وكان علينا ان ننام في المركب ولم يكن علينا ان نلبس، كان غاضبا مني لأنني اردت ان ألبس ملابس ثقيلة بسبب البرد...». انظر الى صوره اثناء تصوير الفيلم» – تقول ليف ضاحكة – «كم كان لابسا هو من البرد...!! كان قاسيا علي تلك المرة. كرهته وقررت ان اتركه. ربما لم يعرف ماذا فعل بي. قال انه مشهد جيد وعدنا الى البيت ولم اتكلم ابدا عن الموضوع. شعرت ليف انها النهاية وانها اتت اليه وهو في طريقه الى مكان آخر. «حاولتُ انقاذ علاقتنا لمدة ٤ سنوات ولكن اكتشفت انه دون جدوى ومن غير الجيد ان نبقى معا نحن الاثنين». عندما اتى الفراق، تجاهلاه، لم يتكلما عنه، كأنه ليس موجودا، ليس واقعا. تصرفا كأن رحيلها هو زيارة الى النروج. لم تأخذ اغراض ابنتها معها. تركتها، لأنه لو اخذتها يصبح عليهما مواجهة الحقيقة. «الان عندما اتذكر شعوره بعدم الامان، اشعر بحب واتجاوز دائما عنفه وعدم عدالته. لم اعد عمياء نحو أغلاطه ووضعه ولكن فهمي واحترامي له كبيران. عندما يكتب يغلق الباب على نفسه. هذا كله ساعدني ان اتطور. كنت التحق بالاخرين لأنني كنت محتاجة للامان مع الاخرين. كنت خائفة. وعندما بدأ شعره يشيب اكتشفت فجأة انه هذا هو الحب. والان صرت اقوى وصرت اشتاق لذلك الرجل في مكتبه. اردت ان اتقاسم معه معرفتي الجديدة وقوتي ولكن فات الاوان. لم أعد اجد هذا الرجل. المهم ان تترك كل شيء وراءك. ان تنسى ولا تربي مرارة في داخلك. ولا تقول ماذا لو فعلت هذا بدلا عن ذلك... او لماذا لم افعل... خسرت انغمار لكن ما زلت املك نفسي وقريبة من نفسي. خسرت انغمار لكن ما زال لدينا صداقتنا رغم غيابه. بكل القوة التي لدي بنيت جسرا بيننا. كتب لي بعد الفراق: «ليف ارى ان هذا الفراق كان ضروريا والا كنا احرقنا بعضنا. أنا في ألم دائم، نفسي وجسدي. احبك يا صديقتي الصغيرة".

من ارشيف صحيفة السفير

ليف اولمان تتغيّر

علي حمود الحسن

انتهيت قبل أيام من قراءة مذكرات الممثلة والمخرجة النرويجية ليف اولمان(٨١) عاما، المولودة في اليابان من ابوين نرويجيين في العام١٩٣٨، وعاشت أحلى أيامها وأثراها، واحيانا أتعسها؛ متنقلة بين موطنها النرويج والسويد وأميركا وكندا، لم تكن ليف الشهباء صاحبة القوام النحيل والمنطوية على نفسها، جميلة بمقاييس هوليوود، لكنها ولفرط حساسة وموهبة؛ اذ مشت على حجر تترك اثرا، شغفت بالمسرح والسينما والكتابة، التقت المخرج السويدي الشهير انغمار بيرغمان، فوجد فيها خلاصا لروحه التي تنوء بذنب اوربا الكبير واسئلة الوجود المحيرة، فأخرج لها أكثر من عشرة أفلام ابرزها: " ساعة الذئب"(١٩٦٨)، و" العار(١٩٦٨)، و"صرخات وهمسات"(١٩٧٢)، وجد فيها مصدر الهام لرؤاه، فتشاركت مع بيبي اندرسون وانغريد بيرغمان، لتجسد رؤاه وهمساته التي لم يجد غير حميمية الانثى وسيطا اثيرا للتعبير عنها، فالأنثى غير الرجل، هو يصرخ وهي تهمس، قبل ذلك تزوجها وانجب ابنتهما الوحيدة لين، ثم انفصلا بعد خمسة عشر عاما من الحب والالهام والغيرة، وكمجنونين جلسا بحضرة مستشار الزواج متشابكي الايدي، فسألهم لماذا ترغبان بالانفصال وانتما بكل هذه الحميمية؟، اجاباه وهما يبتسمان: " لهذا السبب بالضبط"، ظلا صديقين حميمين يجمعهما شغف السينما والمسرح ولعبة الحياة التي اجادها ملهمهما اوغست ستريندبرغ – ستخرج له فيما بعد فيلمها المهم "مس جوليا"(٢٠١٤)- غمرتها أضواء الشهرة وحصلت على جائزتي أوسكار، متنقلة بين عواصم الدنيا، فدفعت استحقاقات الشهرة الباهظة التكلفة، لكنها ظلت محافظة على خيط حريري يربطها بأسرتها الصغيرة ومسراتها، التي تعافها نجمات هوليوود وغانياتها، وعلى الرغم من انشغالاتها السينمائية، لكنها لا تنسى المسرح عشقها الأول؛ فجسدت شخصية نورا في "بيت دمية" ابسن، ورددت معها: " انا أولا وقبل أي شيء، كائن بشري».

أخرجت بطلة فيلم "برسونا" خمسة أفلام بعد ان فقدت رغبتها بالتمثيل، منها: "الخائن"(١٩٨٢)، وصوفيا (١٩٩٢)، و"حب" (١٩٨٢)، وعلى الرغم من خبرتها ونضج تجربتها، الا ان تأثير المعلم بيرغمان القى بظلاله على اسلوبها الاخراجي، فهو من وجهة نظرها الأفضل والأكثر قدرة على "استكناه خفايا النفس البشرية"، ومن وجهة نظر اولمان، فإن التمثيل يقود الى الإخراج على الأقل بالنسبة لتجربتها، فهي تعتقد انها " تستطيع ان تسرد القصص بلا تمثيل».

هذه الانثيالات راودتني وانا انهي مذكرات ليف اولمان المعنونة بـ "اتغير" الصادرة عن دار المدى في العام ٢٠١٦بقلم الترجمان أسامة منزلجي، الذي سطر أفكار ورؤى صاحبة "وجه لوجه" بأسلوب ادبي آسر وممتع، وقد تبدو مفارقة ان القارئ الذي يعرف أي حياة صاخبة وحافلة عاشتها اولما، لا يجد غير تأملات في الحياة والحب والموت والصداقة، فضلا عن الفن والجمال، تختتم ليف اولمان مذكراتها بجملة؛ ربما هي ذات كلمات بيرغمان: "لعلّ ما أفتّش عنه على الدوام، هو مملكة الطفولة الضائعة».

manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

مناارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

(اتغيّر) سيرة أولمان عبر أعمال مبهرة وشخصيات خالدة

عــلاء الـمـفـرجـي

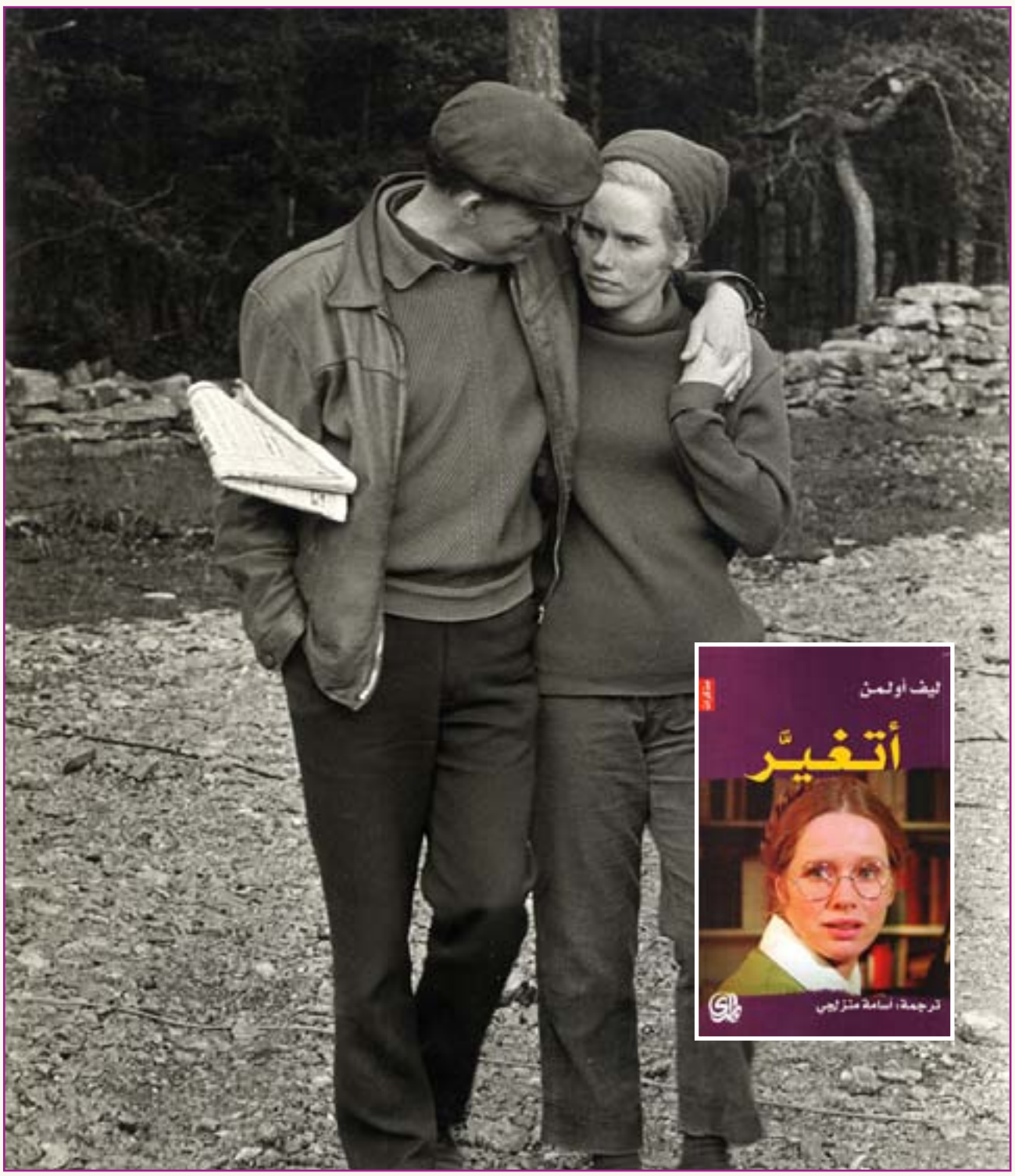

”عندما تقرأ مذكرات أحد المشاهير، تشعر بطبيعة الحال بالفضول لمعرفة كيف أصبح هذا الشخص مشهورًا. إذا لم يكن الكتاب مكتوبًا جيدًا، فسيظهر كل شيء على أنه مبتذل.“

و ينفد صبر القارئ للوصول إلى «استراحة كبيرة" عند القراءة عن أحد المشاهير غير المعروفين لك، فأنت إما تشعر بالملل أو تبحث عن أدلة لحل اللغز: ما الذي يجعل هذا الشخص مميزًا؟

كانت ليف أولمان، مؤلفة كتاب (اتغير) الصادر عن دار المدى بترجمة أسامة منزلجي، واحدة من السيدات الرائدات للمخرج إنغمار بيرغمان وأم أحد أبنائه. وواحدة من اهم نجمات الستينيات في السينما.

يتبع الكتاب طريقًا ملتويًا من طفولة أولمان في النرويج ونجاحها في المراحل المبكرة إلى أفلامها في هوليوود في أوائل السبعينيات في ذروة مسيرتها الدولية. عملها (وعلاقتها) مع بيرغمان جعلها نجمة.

ربما لأنها ممثلة متدربة، أولمان متوائمة تمامًا مع المشاهد. كانت صغيرة، في السادسة من عمرها فقط، عندما توفي والدها. «أصبح موت أبي الفراغ الذي تركته في داخلي نوعًا من التجويف الذي يجب أن توضع فيه التجارب اللاحقة.» تتذكر رجلاً كان «طويلا ويرتدي سترة جلدية بنية اللون ولم يقل شيئا، ولكن بأيدينا، أرسلنا إشارات ضغط سرية لبعضنا البعض.»

هذه التفاصيل مهمة بالنسبة لها وتظهر في مكان آخر. تم تصوير بيرجمان، والد ابنتهما، لين، وهو يرتدي سترة جلدية بنية اللون، وهكذا تصف أولمان الشعور بالأمان في العلاقة: «يمسك بيده أثناء القراءة، وهي تشعر بالهدوء لأن كل شيء عادي... إنها... تعرف أن راحة اليد في يدها ستضربها سريعًا بقوة لتظهر أنها موجودة من أجله «.

يتم الاحتفال بالحياة على المسرح كشركة. «تنفس (الجمهور) وضحكهم وحركاتهم هي جزء من تجربتنا معهم. بين الحين والآخر يتم ضرب وتر حساس، نحن واحد. القاعة لا تزال والمسرح على قيد الحياة «. تأخذ أولمان القارئ وراء الكواليس في مجموعات أفلامها لإظهار تطورها كممثلة. «قبل بضع سنوات لم يكن بإمكاني لعب (مشهد صعب). كنت سأحاول أن أفعل الكثير، معقدًا، كان متوترًا وعصبيًا. الآن أمزح في فترات الراحة وأستأنف تركيزي مع الآخر عندما يقول إنغمار: العمل! «

غالبًا ما تكتب أولمان وكأنها تعطي توجيهات مسرحية: «لا شيء يتغير. حتى الأثاث مرتب كما كان من قبل «. لا توجد فقرات طويلة، ولا اجترار. لكن الكتابة لا تشعر أبدًا بالابتذال أو اللامبالاة. كتب هذا شخص ذو حساسية وشعور. كانت هناك أوقات وجدت فيها نفسي أفكر، «هذا ما رآه بيرجمان فيها.» محاولة فك رموز ما جذب إليه هو شيء يفعله أولمان في علاقتهما. التغيير ليس أمرًا مشهورًا «يقول كل شيء». أولمان حذرة بشأن علاقتها مع بيرغمان. ليست واضحة بشأن التوقيت، لكن يبدو أنها تركت زوجها من أجله. بعد سنوات، في حفل عيد ميلاد الأربعين لهذا الزوج السابق، استاء أولمان من «وضعه تقريبًا أسفل الطاولة». لكن هذا ليس لأنها تشعر أنها تستحق الأفضل، ولكن لأنه كان ينبغي تكريم علاقتهما بشكل أفضل. «لقد كان إنسانا عشت معه لفترة طويلة، ومع ذلك كان الأمر كما لو أنه لم يكن لدينا وقت للتعرف على بعضنا البعض». قالت بشكل مؤثر في مكان آخر، «لا يمكنني أن أكون شابًا مرة أخرى مع أي شخص آخر. «

كان بيرجمان متورطا مع العديد من ممثلاته. أحداهن، بيبي أندرسون، «كان لديه هاجس لما سيحدث» لعلاقة أولمان مع بيرغمان. تقول أولمان «نظر إلى (بيبي) من السماء البعيدة حيث أقمت بصفتي أول امرأة على وجه الأرض أحبت وأحببت.» كان أولمان تعيش مع بيرغمان في فارو، وهي جزيرة «تقع بين روسيا والسويد» مع «أشجار التنوب ذات العُقد ذات الألوان الخضراء الغريبة، ومعظمها متقزم ومنحني على الأرض.» بالنسبة لبرغمان، العزلة هي الجنة. تقول أولمان «لا أتذكر رؤية مكان قاحل إلى هذا الحد. «

بعد فوات الأوان، أدرك أولمان أن الحياة مع بيرغمان كانت نوعًا من الفخ. حتى بعد انفصالهما، تحاول «عدم القيام بأي شيء حتى لا تتسبب في انتقادي – وبالتالي تعطيه كل الأسباب«.

كتاب (اتغير) سيرة ذاتية عاكسة لإحدى أشهر الممثلات في العالم. في هذا الكتاب تحكي ليف أولمان عن طفولتها النرويجية وحياتها كـ«نجمة المسرح والشاشة». علاقتها بوالد طفلها، وكذلك المخرج في أدوارها العظيمة، إنغمار بيرغمان، جزء من هذا العمل. من ناحية مهمة، يبدو أن العلاقة المركزية في العمل هي بين أولمان وابنتها لين. تشعر أولمان بالذنب لأن حياتها المهنية حرمت ابنتها من تقاسم ساعات طويلة مع والدتها. غالبًا ما ينتقل أولمان من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى الماضي بطرق قد تكون مربكة. لكن قصتها الأساسية تُروى بوضوح.